١٠

معالم الشعر التعليميّ عند الشيخ منصور بن ناصر الفارسيّ

د. سالم بن سعيد البوسعيدي
معلم أول لغة عربية
وزارة التربية والتعليم
Salem 2226@gmail.com

الملخَّص:

حضر الشعر التعليمي بقوة في حضارة عمان ومشهدها الثقافي، وكان له دور كبير في نشأة الشيخ العلمية وأيضا في نتاجه التأليفي، ومن هنا برزت فكرة تخصيص هذه الورقة لمناقشة هذا الجانب في حياة الشيخ وإنتاجه. يقسّم الباحث هذه الورقة إلى مقدمة ومحورين وخاتمة وملحق، فيتناول في المقدمة، تعريف الشعر التعليمي. ويتناول في المحور الأول عوامل اهتمام الشيخ الفارسي بالشعر التعليميّ مسلّطا الضوء على أهم عاملين وهما: مسايرة ثقافة المجتمع، وتلبية حاجة المجتمع. ثم يتناول الباحث في المحور الثاني ملامح الشعر التعليمي عند الشيخ الفارسي في ديوانه "سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد" مبينا أهم مجالاته وهي: الشعر التعليميّ الدينيّ، والشعر التعليمي التاريخيّ، والشعر التعليميّ التوجيهيّ، والشعر التعليميّ السلوكيّ، مسلّطا الضوء على ملامح الشعر التعليميّ عنده وأهم سماته الفنيّة والأسلوبية. والخاتمة تحمل أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الشعر التعليميّ. مجالات الشعر التعليميّ عند الفارسي. سمات الشعر التعليميّ.

مقدمة:

الشعر التعليميّ قسمٌ من أقسام الشعر الكبرى، وهو الشعر الذي يتمّ بواسطته عرض علم من العلوم عن طريق النظم الشعريّ، وبتعبير آخر هو النظم الذي يشتمل على المضامين الأخلاقيّة، أو الدينيّة، أو الفلسفيّة، أو التاريخيّة أو التعليميّة عموماً، فهو ذو قالب شعريّ ومضمون علميّ، ليس شعراً خالصاً، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يجاري العلم في دقته وشموله. ويسمّى عند العرب بالمنظومات التعليميّة[1].

ظهر الشعر التعليميّ حين فَطِنَ مُصَنِّفُو العلوم إلى أنه بالإمكان توظيفُ نظم الشعر وإيقاعاته في صياغة منظومات علميّة تُسَهم في تسهيل العلوم وحفظها. ويمكن حصر أهم مجالات الشعر التعليميّ في:

١-الشعر التعليميّ الدينيّ، ويشمل العلوم المرتبطة بالدين الإسلاميّ كعلوم القرآن والحديث النبوي والعقيدة وأصول الفقه والفقه وغيرها.

٢-الشعر التعليميّ اللغويّ والأدبيّ، ويشمل علوم اللغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة وعروض، وشعر المعاني الذي يكون غرضه تنمية الحصيلة اللغويّة، ومنظومات الأدب العربيّ.

٣-الشعر التعليميّ التاريخيّ والقصصيّ، ويشمل التاريخ والسير والقصص، والأنساب، وتسلسل الحوادث وترتيبها.

٤-الشعر التعليميّ التوجيهيّ والفلسفيّ، ويشمل الفلسفة والتصوّف والوعظ والأخلاق، وما ينبغي للإنسان أن يكون عليه، وما يجب أن يتحاشاه ويتباعد

---

١) مصطلح الشعر التعليميّ مصطلح غير عربيّ، وهو حديث نسبيّاً في الوطن العربيّ، "وكان الدكتور طه حسين من أوائل من استعمل هذا المصطلح -ولعلّه الأول- وقد لجأ إلى ذلك وهو يعدّ مقالاته المتوالية عن الشعر العربيّ في جريدة السياسة تحت عنوان (حديث الأربعاء)، فذكر عند حديثه عن "والبة بن الحباب وأبان بن عبد الحميد" مصطلح "الشعر التعليميّ" لديهما، ثم جمع هذه المقالات في كتاب (حديث الأربعاء) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٧ وسارت اللفظة مصطلحاً. ينظر: الطاهر، علي جواد: مقدمة في النقد الأدبي، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص١٣٧.

عنه، ويسلك الشاعر في ذلك أساليب الترهيب والترغيب والنصح والعظة.

٥-الشعر التعليميّ العلميّ، وهو يعرض للعلوم والصناعات، فيقرر الحقائق المتعلّقة بشأنها، كعلوم الطب والهندسة والفلك والزراعة، فيضع لها القواعد ويستنبط لها القوانين.

ويمكن أن نضيف الشعر التعليميّ الترفيهيّ، الذي يعرض لقواعد وفنون ترفيهيّة مثل قواعد المجون والألغاز.

الشعر التعليميّ العربيّ ظاهرة تربويّة وعلميّة وحضاريّة وأدبيّة كان لها حضورها الواسع، خاصّة أنّها كانت عصب المناهج التقليديّة في المساجد والكتاتيب، وهي تعتمد بشكلٍ واضح على المتون العلميّة الفقهيّة واللغويّة والتاريخيّة والعقديّة والعلميّة، فهي ظاهرة واضحة جليّة في الثقافة العربيّة. تستحق أن تدرس وهو ما دعا الباحث لهذه الدراسة عن الشعر التعليمي عند الشيخ منصور الفارسي حيث قسّم الباحث هذه الورقة إلى مقدمة ومحورين وخاتمة، فتناول في المقدمة تعريف الشعر التعليمي. وتناول في المحور الأول عوامل اهتمام الشيخ الفارسي بالشعر التعليميّ مسلّطا الضوء على أهم عاملين وهما: مسايرة ثقافة المجتمع أولا، وثانيا تلبية حاجة المجتمع. ثم تناول في المحور الثاني ملامح الشعر التعليمي عند الشيخ الفارسي في ديوانه "سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد" مبينا أهم مجالاته وهي: الشعر التعليميّ الديني، والشعر التعليمي التاريخيّ، والشعر التعليمي التوجيهيّ، والشعر التعليمي السلوكيّ، مسلّطا الضوء على ملامح الشعر التعليميّ عنده وأهم سماته الفنيّة والأسلوبية، واستعرض الباحث في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

المحور الأول:

عوامل اهتمام الشيخ بالشعر التعليمي:

اهتم الشيخ الفارسي بالشعر التعليمي اهتماما كبيرا، ومن يطالع آثاره يجد أكثرها ينتمي إلى هذا الباب، ولعل من أهمها:

- سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد، وهي قصائد شعرية جمعها الشيخ منصور ضمن كتاب واحد، وقد قسمه إلى اثني عشر باباً.
- عنوان الآثار يتضمن أسئلة وأجوبة فقهية نثرية ونظمية لعدد من العلماء.
- الدرة البهية في علم العربية، وهو شرح لأرجوزة في النحو والصرف نظمها المؤلف بنفسه، ويقع في جزء واحد.
- رياض الأزهار وحلية الأسفار، وهو قصائد في الأديان والأحكام، بلغت تسعا وثلاثين قصيدة. به ما يزيد عن سبعة آلاف بيت، وتتجلى فيه غزارة العلم وقوة الحجة والمنطق.
- مسائل وأجوبة نثرية ونظمية متفرقة، ومنها في كتاب إرشاد السائل إلى معرفة المسائل للعلامة السيد حمد بن سيف البوسعيدي، وكتاب زاد الأنام للعلامة سيف بن محمد الفارسي.
- منظومة العقد الفريد في خالص التوحيد وقام بشرحها العلامة حمد بن عبيد السليمي، وطبعت ضمن ديوانه سموط الفرائد.

ولعل أهم سببين يقفان وراء اهتمام الشيخ بهذا الفن مسايرة ثقافة المجتمع أولا، وثانيا تلبية حاجة المجتمع.

أولا: مسايرة ثقافة المجتمع العماني:

يقول هلال الحجريّ في مقدمة كتابه (حداثة الأسلاف): "ليس من باب المبالغة إذا ذهبنا الى أنّ ديوان الشعر العمانيّ يمثّل ثلث ديوان الشعر العربيّ القديم،

وأنّه ظل مغموراً ومطويّاً حتى عن معظم أهله وذويه. فمن حيث الكم يشكل النظم -بمعناه الذي يقابل النثر-لغة تكاد أن تكون أشيع وسيلة للخطاب بين الناس، حتى لقد قالوا "خلف كل صخرة عمانيّة شاعر"، وهذه الجملة وإن كان من الصعب هضمها فنيّاً لحساسيّة كلمة "شعر" ومسؤوليتها الفنيّة وعدم مجانيتها، إلا أنّها مؤشر قوي الى العدد الهائل ممّن يتعاطون الشعر -بمفهومه التقليديّ-في عُمان. واليوم يدرك المثقفون العمانيّون جيداً أنّ هناك فجوة عميقة بين جيل الشباب من المثقّفين وموروثهم الشعريّ والأدبيّ، وذلك إمّا لتورّط بعضهم في المفهوم القاصر والأبله "للحداثة" من حيث الاكتفاء بثقافة الصحف والمجلّات والمقاهي ونحوها، وتصعير الخد لكل موروث وإن كان إبداعاً أصيلاً، وإمّا لانطلاق بعضهم من أصول عرقيّة لا أحد يعرف مداها"[١]!

والذي ينظر إلى كلام الحجريّ الآنف يظن أنّ الرجل يبالغ في جعل الشعر العمانيّ ثلث ديوان الشعر العربيّ القديم، وفق مفهوم الشعر التقليديّ عند العمانيين -الذي يشمل النظم العلميّ- غير أنّ الكم الهائل من المنظومات العلميّة هو الذي دفعه إلى هذا القول، " فلا يكاد يوجد عَلَمٌ إلا وله مؤلّف نظميّ أو منظومة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ هذا المجتمع شبّ على العروبة، مع الاحتفاظ بمفردات الهويّة والبلد، فنجد الفرد ينشأ غالباً وهو يتغنّى بهذه المنظومات، وهو يسمعها في الكتاتيب والمجالس التي تستحوذ على أكثر وقت المجتمع غير وقت العمل"[٢]. بل أصبح النظم هو وسيلة التدوين الأولى في معظم المجالات، فعندما قام السلطان برغش بن سعيد برحلة في أوربا فإنّ كاتبه زاهر بن سعيد تولّى صياغة الرحلة شعراً في كتابه (تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار). وقبل ذلك سجل الملاّح العماني المشهور أحمد بن ماجد معلوماته القيّمة في علوم البحار في شكل أراجيز، أمّا علوم الفقه وما يتصل بها فيشيع فيها المنظومات إلى حدٍّ بعيد، وكتبها تحظى بالنصيب الأكبر من المخطوطات العمانيّة.

---

١) الحجري، هلال: **حداثة الأسلاف: إضاءات من الشعر العمانيّ القديم**، ط١، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٣م، ص٩.

٢) الذخري، بدر بن مبارك: **النظم وأثره في الفقه الإباضي: جوهر النظام أنموذجاً**، بحث تخرّج في العلوم الشرعيّة، نوقشت وأجيزت في معهد العلوم الشرعيّة، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٠م، ص٢٣-٢٤.

ونظراً لخطورة النظم وشيوعه في عُمان وتفضيل العمانيين له، نجد أنّه كان الوسيلة المثلى للترويج لأيّة فكرة، ولو كانت شاذة على المجتمع، فيروي نور الدين السالميّ في كتابه (تحفة الأعيان) قصة عن مدى خطورة الذين يتلاعبون بقدرتهم على النظم في تغرير الناس، وهو يورد رسالة كتبها أحد أئمة اليعاربة بنفسه وهو السلطان بلعرب بن سلطان (ت١١٠٤هـ) إلى أحد العلماء ينبهه فيها إلى أنّ "رجلاً من مخالفينا جاء إلى الصير[١]، وصار له شأن عظيم، وصار له مجلس يجتمع فيه مئة رجل فصاعداً من قومنا، وصار متطاولاً تيّهاً بذيله على ديننا، ويفتي في الأثر نظماً ونثراً، ويمتحن أصحابنا بمسائل، وأرسلوا لنا مسألة في بعض امتحانه لهم وطالب جوابها، والمسألة في هذه شعراً"[٢]، ثم يورد مسألة منظومة حول بعض مسائل الميراث يتلاعب فيها صاحبها بالألفاظ، ويعلّق عليها الشيخ بما يبيّن وجه الصواب"[٣].

بل وصل الأمر إلى أن تنظم الأسئلة إلى المختصّين في كل مجال، فيجيب المختص نظماً كذلك، ويكون السؤال والجواب على نفس الوزن والقافية وهذا النوع من الأسئلة والأجوبة شديد الشيوع في عُمان في كل العصور حتى عصرنا الحاضر، ومن يتابع كتاباً مثل (شقائق النعمان) يجد أسئلة من ذلك اللون تتكرر على ألسنة جميع الشعراء، بل إنّ السؤال كثيراً ما يتحوّل إلى "لغز" لكي يمتحن فيه قدرة المتلقّي على معرفة دقائق العلم وغرائبه من ناحية، ودروب الكلام من ناحية ثانية، وتكون عدم القدرة على الإجابة شهادة ضمنيّة لناظم السؤال بطول باعه وأحقيّته في مجال العلم وربّما في مجالات أخرى.[٤]

ويمكننا الاستشهاد هنا على انتشار هذا الفن واهتمام العلماء به في القرن الرابع عشر حيث عاش الشيخ الفارسي، حيث نجد "أنّ عدد الشعراء النظّام يفوق خمسمائة ناظم وشاعر، يتصدّرهم الشيخ سالم بن حمود السيابيّ، إذ جاوزت آثاره

١) مدينة جلفار، وحاليّاً تسمّى رأس الخيمة.

٢) االسالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٩٧م، ج٢، ص٦٥.

٣) المصدر نفسه، ص ٨١-٨٢.

٤) ينظر درويش، أحمد: تطور الأدب في عمان، ط٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٧-٦٠.

العلميّة تسعين مؤلّفاً، فهو صاحب أكبر نظم علميّ في العالم العربيّ قديماً وحديثاً، حيث زادت أبيات كتابه (إرشاد الأنام في الأديان والأحكام) على مئة وعشرين ألف بيت، ونظمه في هذا الكتاب يقارب ضخامة نظم الشيخ محمد بن شامس البطاشيّ الذي بلغ مئة وأربعة وعشرين ألف بيت في كتاب (سلاسل الذهب)، ولكنّ السيابّي يفوق هذا العدد بكثير إذا جمعنا نظمه في كتبه الأخرى"[١].

ومن أجوبة الشيخ النظمية جوابه لسؤال الشيخ موسى بن عيسى البكري الذي مطلعه:

يا صاح قم لا تنم ... وبالإله اعتصم
.. واكتسب العلم لكيَ ... تحظى بخير النعمَ
فإنما يحصل بالد ... رس وبالتعلّمَ
وبحث كل ماهر ... في العلم بحر قلزم
كالحبر منصور بن ناً ... صر حميد الشيم

وبعد مدح طويل يطرح سؤاله:

ما القول في شخص له ... أخت أبٍ مكرم
وهو له من أمه ... كذاك أختٌ فاعلم
هل يحرمن جمعهما ... للمرء أم لم يحرمِ

ثم يختم بالتكرم بالفتوى:

أنعم بكشف نوره ... يقشع داجي الظلم
وارشد بليدا جاهلا ... عن منهج الحق عمي
وصل ربي دائما ... للمصطفى وسلّم

فيجيبه الشيخ متواضعا، يقول في مطلع جوابه:

١) ينظر الشيباني، سلطان بن مبارك: مفتاح الباحث إلى ذخائر التراث الفكريّ العمانيّ، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٥م، ص٣١-٣٨.

لـســت الـفـتـى بـالمـنـتـمـي لـلـفـضـل رب الـكـرم
عـلـوت في نـعـتـي فـلـم أرضـــس بـــه مـــن قِـسـم

ثم يجيبه قائلا:

أخـــت امـــرئ لـــلأم مع أخـــت أبـيـــه تـنـتـمـي
جـمـعـهـمـا تـــزوّجـــا تحـــت فـتـى لم يـحـرم
إذ لـيـس مـا بـيـنـهـمـا مـــن نـســب أو محـرم

ثم يستطرد الشيخ في ذكر الأقوال والأدلة والبراهين، ويختم بقوله:[1]

فـاعـمـل بـحـق شـمـتـه منهـــا وإلا فاحتمـي
ثـم الـصـــلاة دائـمـا عـلـى الـنـبـي الأعـظـم
وآلـــــه وصـــحـبـه الـغـر الـكـرام الـقـوّم

تتضح من خلال النموذج السابق بعض سمات هذا الفن وأهمها:

- علاقة السائل بالمجيب إنّها علاقة تجمع التلميذ بأستاذه، ولهذا تكون اللغة لطيفة، وتجمع بين اللطف والطرافة والمخاطبة بأحسن الأسماء.

- نلاحظ في طبيعة هذه الأسئلة النظمية أنّها تتّسم بالعمق، وكأنّها بذلك تجذب الانتباه لمتابعتها، وأحيانا تكون المسألة مختلف فيها فالمطلوب من المجيب الفصل فيها.

- نلاحظ أنّ هذا النمط من النظم من أنماط الحوار العلمي، ويشكّل بنية تواصلية تحاور الآخر وتناقشه، وهي تخضع لبنية حجاجية استدلالية وآليات خطابية تخاطب العقل والوجدان، بحيث يتفاعل مع السائل والمسؤول، والمستفتي والمفتي.

- السؤال عادة يجبر المجيب على إجابته على نفس البحر والقافية، وكأنّه يختبر مقدرته الفنيّة واللغويّة، كما أنّ السؤال الذي يوضع في أسلوب راقٍ يجبر المجيب

١) ينظر الخصيبي، محمد بن راشد: شقائق النعمان على سموط الجمان، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط،، ٢٠١٦، ج٣، ص٧١-٧٦.

أن يجيب محاولاً الوصول لمستوى أسلوب السؤال، فهناك نوع من التنافس الفنيّ بين السائل والمجيب.

ثانيا: تلبية حاجة المجتمع:

يمكننا القول أنّ الشيخ الفارسي اهتم بالشعر التعليمي اهتماما كبيرا، لما لمسه من حاجة المجتمع إليه وتلمّس آثاره ومن أهمها:

أولاً: الحاجة التربوية والتعليميّة: ويمكن تلمّس هذه الحاجة في أمرين:

حاجة المدارس التقليديّة العمانيّة[١] إلى مناهج، فرأى المربّون والعلماء أنّ تأطير العلوم بالشعر يسهّل على المتلقّي أبحاث هذه العلوم؛ نظراً لما تشتمل عليه العلوم من جمود وجفوة وشدّة، فكان القالب الشعريّ مدخلاً مناسباً جميلاً لهذه العلوم، كما أنّه كان مجالاً لتعليم اللغة من خلال الألفاظ والمرادفات والمصطلحات التي يشتمل عليها النظم. ممّا أدّى إلى كثرة الطلب على هذه المنظومات.

الأمر الثاني: حاجة العالم لها في تنظيم الحلقات العلميّة التي غالباً ما تعقد في المجالس أو بيوت أحد العلماء، بل أصبحت المساجد بمثابة معاهد تعقد فيها دروس الفقه والعقيدة والمنطق والفلك والأدب والتاريخ، وخرّجت هذه المعاهد كبار العلماء، فيقوم العالم بدوره التعليميّ، وغالباً ما يعتمد على متن منظوم؛ لأنّ كثيراً من الناس لا تقرأ، ويلذ لها السماع النظميّ ثم الحفظ. فيقرأ المتن أندى الحضور صوتاً، بينما يقوم الشيخ بالتعليق والشرح الخفيف. وتتميز هذه الشروح بمراعاة مستوى المخاطب، وعدم الإفراط في القضايا الجانبيّة، بل لا يتعدى شرح البيت مقدار جملتين أو سطرين. وأحياناً يحبّذون قراءة كتب الفتاوى النظميّة، سؤال منظوم ويكون الجواب على نفس الوزن والقافية، وتتميز الأسئلة بالطرافة وإعمال العقل وتنوّع الأغراض، كما تتنوّع القافية والأوزان، وهنا يأخذ المتلقّي زاداً لغويّاً وتاريخيّاً وعلميّاً ومعرفة بأعلام العصر.

كان الشيخ منصور ممن خبر التدريس ونشأ في ظل المدارس الموجودة سابقا،

١) وهي مدارس تعنى بتدريس القرآن ومبادئ علوم الدين والقراءة والكتابة والتاريخ، ولها مبانٍ خاصّة في الحارات العُمانيّة، أو في غرف ملحقة بالمساجد، أو تحت ظلال الأشجار الكبيرة، وتشمل الذكور والإناث، وقد يكون المعلّم رجلاً أو امرأة، ولهذه المدارس أوقاف خاصّة ينفق منها على المعلّمين وشراء المناهج.

فنهل منها، وعلم أن النظم أحد أعمدة مناهجها وهو الأنفع للحفظ والاستظهار لصعوبة استنساخ الكتب، فقد عيّنه الإمام الخليلي مدرساً للعلوم الدينية في بلده فنجا عام ١٣٣٩هـ واستقر في مسجد الجماعة بفنجاء فتخرج على يديه مجموعة من العلماء والفقهاء والأدباء، ولما عيّنه الإمام الخليلي قاضياً على نزوى خلفاً للعلامة عبدالله بن عامر بن مهيل العزري الذي توفي سنة ١٣٦١هـ أسس العلامة منصور مدرسة علمية بعدما ذاع صيته وقصده طلبة العلم فكان يخصص الفترة المسائية من بعد المغرب للمدرسة، بينما يتفرّغ صباحا للقضاء وفض المنازعات وينجز مصالح الناس. وتخرج من هذه المدرسة ما يزيد عن الأربعين طالباً.

ثانياً: الحاجة المذهبية: حيث ينتمي أغلب هؤلاء العلماء إلى المذهب الإباضيّ، وهو مذهب أقليّ، وسط منطقة تحيط بها مذاهب مختلفة، خاصّة مع دخول بعض الكتب التي كتبها علماء المذاهب الإسلاميّة الأخرى والتي تتهم المذهب الإباضيّ بالخروج عن الدين، ممّا حتّم على العلماء الرد على هذه الأفكار عن طريق المنظومات؛ لضمان سيرورتها وحفظها خاصّة من قبل العوام في المجالس العامّة. ولهذا نجد المنظومة العقدية حاضرة بقوة عند الشيخ الفارسي، بل لعل أشهر منظوماته (العقد الفريد في خالص التوحيد) وهي تصبّ في هذا الجانب بامتياز.

ثالثا: حاجة المجالس والاستفادة منها: فقد شكّلت المجالس علامة بارزة في المجتمع قديماً وحديثاً، كما كانت-ولا زالت-مفردة مهمّة من مفردات الحياة العمانيّة، وهي أنواع منها: "السبلة" أو مجلس العرب، وهي مؤسسة اجتماعيّة ذات ملكيّة عامّة تمثل مقراً لاجتماع رجال القرية أو الحارة أو القبيلة، ليتناقشوا ويتباحثوا في أحوالهم أو حياتهم، كما تقام فيها ولائم المناسبات الاجتماعيّة، أو الدينيّة، وتقام فيها المآتم والتعازي. وقد تعقد بشكل يوميّ تقوم على أساس القراءة في كتب الأدب والفقه والتاريخ ونحوها من الفنون، ويتولّى القراءة فيها صاحب الصوت الحسن المرتفع، ويقوم أهل العلم والفقهاء بالتعليق والشرح عندما يلزم الأمر، ووقتها عادة بين المغرب والعشاء، وكثرة هذه المجالس العامّة والخاصّة، كان لها أثرها في شيوع المنظومات، فالعادة أنّ ما يُقرأ في هذه المجالس أكثره نظم، فمن خلاله يتمّ تقديم المعلومة في قالب موسيقيّ جميل. بل هناك منظومات أو

كتب وُضعت خصيصاً لتلبية حاجة المجالس مثل كتاب (بهجة المجالس) لخلفان بن جميل السيابيّ، الذي ألّفه من خلاصة تجربته العلمية مع المجالس. كما شاع في هذه المجالس فن الأسئلة والأجوبة النظمّية التي تربط بين الفقه والأدب، ففي الوقت الذي يتعلّم فيه طالب العلم أمور الدين، يهذّب نفسه باللغة ويطوّع لسانه لمختلف فنونها وينمّي ذوقه اللغويّ والأدبيّ [١].

وكان للشيخ مجلس علمي ينافس المجالس العلمية في عصره ويمتلئ بالطلاب والعلماء، ولعل ديوان الشيخ "سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد" إنما كتب لهذا الغرض.

تلك أهم الأسباب والعوامل التي جعلت الشيخ الفارسي يهتم بهذا الفن التربوي الفنيّ الراقي.

المحور الثاني: ملامح الشّعر التعليميّ عند الشيخ الفارسيّ (في ديوان سموط الفرائد):

أولا: الشعر التعليمي الدينيّ

الشعر التعليميّ الدينيّ في عمان له حق الصدارة على أنواع الشعر التعليميّ الأخرى لسببين: أولهما: لأنّه الأسبق ظهوراً، فقد كانت أوائل المنظومات العُمانيّة دينيّة. والسبب الثاني: لكثرة هذا النوع من المنظومات، فلا يكاد يحضر أيّ جانب من جوانب الشعر التعليميّ نصف حضور الاتّجاه الدينيّ. ولعلّ من أهم بواعث هذا التفوّق الكميّ البعد المذهبيّ، الذي تحدث عنه الباحث سابقاً، أضف على ذلك التنافس بين المدارس العلميّة في الترويج لمبادئها.

ولعلّ أقدم منظومة في المجال الدينيّ هي منظومة أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصيّ (ق٣هـ)[٢]، وهو أحد علماء القرن الثالث الهجريّ، وكان موضوعها

١) ينظر الشكيلي، إبراهيم بن جمعة: المجالس الأدبية والمباحث اللغوية في عمان، ضمن ندوة (الدور العماني في خدمة اللغة العربية)، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، ٢٠١٥، ص ص ٣٢٧-٣٤٢.

٢) فقيه مجتهد ناظم، عاش في القرن الثالث الهجري في بهلا، ومن أهم مؤلفاته كتاب الأحداث والصفات. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١،ص٢٢٥)

التوحيد وأسماء الله الحسنى وصفاته، والبراءة من أفعال الخوارج الذين قاموا بتكفير أهل القبلة واستباحوا دماءهم، والرد على المخالفين، وبيان سيرة الإباضيّة الأوائل، وتتميز المنظومة بلغة جزلة وغريبة بعض الأحيان. ومنها:

وتــوراة مـوسـى والـزبـور كلامـه وإنجيل عيسى والقران المحققُ[1]
كــلام لــه ربٌّ ولا لافــظٌ بـه وما صفة الجبّار بالقول ينطقُ[2]

وفي القرن الرابع عشر الهجري انتشرت المنظومات الدينية بشكلٍ ملفت، غلبت على المنظومات العمانيّة . بل إنّ أكثر الموسوعات العمانيّة التي أُلّفت في القرن الرابع عشر الهجري في المجال الدينيّ كانت نظميّة. وعلل النظّام ذلك أنّه كان نزولاً عند رغبة الناس وذوقهم، وتلبيةً لحاجة المجالس.

وظهر نظّام موسوعيون لهم منظومات متعددة في علوم الدين، تتميّز نظمهم بالشمول والطول، بحيث يمكن وصف منظوماتهم أنّها كتب مستقلّة أو كتب موسوعيّة، تتميز بالعبارة السهلة الواضحة، وذكر الآراء المختلفة مع الترجيح. ومن أبرز هؤلاء النظّام المشايخ:

١. نور الدين السالميّ (ت ١٣٣٢هـ):

٢. عامر بن خميس المالكيّ (ت١٣٤٦هـ)[3]:

٣. سالم بن سيف الأغبريّ (ت ١٣٧٩هـ)[4]:

٤. خلفان بن جميل السيابيّ (١٣٩٢هـ)[5]

---

١) المحقق يعني الشاهد على ما قبله.

٢) مجهول: شرح قصيدة أبي المؤثر، جمع وترتيب شمسة بنت عبدالله الحوسنية، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، ٢٠١٥م، ص ٢٥-٢٦.

٣) فقيه، قاض، شاعر عالم، عاش في آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عش، كان مرجع الفتوى ورئيس القضاة. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص٢٢٩).

٤) قاض، عالم، ناظم، عاش في القرن الرابع عشر، له مؤلفات عديدة. (الأغبري، سيف بن يوسف، ص١١٧-١١٩)..

٥) فقيه مجتهد، قاض أديب سلوكي، ناظم شاعر، عاش في القرن الرابع عشر، له مؤلفات جليلة. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص٨٤-٨٨).

٥. سالم بن حمود السيابيّ (ت١٤١٤هـ)[١]

٦. مُحَمَّد بن شامس البطاشيّ (ت١٤٢٠هـ)[٢]

٧. أبو سرور حميد الجامعيّ (ت ١٤٣٥)[٣]

٨. سعيد بن خلف الخروصيّ (١٤٣٨)[٤] وغيرهم

أما الشيخ منصور بن ناصر الفارسيّ (ت ١٣٩٦هـ) الذي عاش في هذه البيئة وكان أحد أقطابها، فله منظومات متعددة، منها منظومة (العقد الفريد في خالص التوحيد)، مقسّماً إياها إلى فصول، ومنه قوله:

وليس مكانٌ جلّ يحويه لا ولا زمانٌ تعالى ربنا وتجلّلا
وليس له قبلٌ وبعدٌ لغايةٍ فقد كان قبل القبل والكون للملا[٥]

وتتكون المنظومة من أكثر من ١٩٠ بيتا، من مقدمة وخاتمة و٢٤ فصلا، تتميز بالتسلسل المنطقي بدءا من المقدمة في فطرة الإنسان فالفصل الأول "أول ما يلزم الإنسان" ثم فيما ينفى عن الله عز وجل، ثم ما يمتنع به السؤال وهكذا وصولا إلى الخاتمة.

ويمكن أن نجمل أهم خصائص النظم الدينيّ في هذه المنظومة في النقاط الآتية:

- نلاحظ غلبة السجع والصناعة اللفظيّة في عنوان المنظومة "العقد الفريد في

١) فقيه مؤرخ، وال قاض أديب ناظم، عاش في القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، مكثر في التأليف. (السعدي، معجم شعراء الإباضّية، ج١، ص ص١٢١-١٢٥).

٢) قاض فقيه، ناظم حافظ عاش في القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص٣٣٢-٣٣٣).

٣) قاض فقيه، شاعر بليغ، عاش في القرن الرابع عشر، من سمائل، له مؤلفات كثيرة. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ٣٦٤).

٤) قاض فقيه ناظم، معاصر ولد في عام ١٣٤٤هـ بنخل. تولّى منصب مساعد مفتى عام السلطنة. (الخصيبي، شقائق النعمان، ٣/٣٥٧).

٥) الفارسي، منصور بن ناصر: سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد، ط١، مكتبة الضامري، مسقط،١٩٩٢، ص٧٨.

خالص التوحيد".

- تخلّصت المنظومة من المقدمة الغزليّة والطلليّة، وبدأت مباشرة بالموضوع فمطلعها:

سأنظم في التوحيد عقدا مكلّلا سموطا من الدر النقي مفصّلا
أخلّصه من كل عيبٍ يشينه على خالص التوحيد جاء معدّلا[1]

- تميزت هذه المنظومة بحسن الترتيب واللغة الواضحة. وتقسيمها إلى ٢٤ فصلا، بتسلسل منطقي. فظهر طابع التجديد في العرض والتبويب، كما نجد جمعاً ذكياً للمادة العلمية.

- غلب على المنظومة الجانب التقليديّ في المادة العلميّة، أو في المنهج والأسلوب والعرض. ولكن هذا لا ينال من جهد الشيخ في توفير المادة العلمية في هذا المجال الصعب للدارسين والفقهاء.

- نجد عناية واضحة بالبرهان العقلي والاستدلال المنطقي في تبين معالم العقيدة، يقول تحت عنوان فصل:

وليس مكان جل يحويه لا ولا زمانٌ تعالى ربنا وتجلا
وليس له قبلٌ وبعدٌ لغاية فقد كان قبل القبل والكون للملا
فلو كان تحويه الجهات تحيّزاً فقد كان مسبوقا وجودا بغير لا
كذلك ما يحويه يلزمُ أنه من الله أقوى حيث كان تحمّلا
فهل يستوي المصنوع والصانع الذي له الصنع والإبداع دعْ من تجهّلا[2]

- نجد حرصا واضحا على الاستشهاد بالقرآن، بل وتفسير بعض آياته يقول تحت عنوان فصل في نفي الرؤية عن الله تعالى:

١) المصدر نفسه، ص٧٧.
٢) المصدر نفسه، ص٧٨.

ومـن قـال ربـي قـد يـراه عبـاده ... بدنيا وأخـرى قـال إفكا وأبطلا
رأوا شبه التنزيل هم فتعلّقوا ... بـظـاهـره سـتـرا بـه وتـعـلّـلا
كـمـثـل وجـوه نـاظـرات لـربـها ... ومـعـنـاه في التـنـزيل نـاظـرة إلى
كذاك على العرش استوى وكقوله ... بأعيننا تجري ومـا كـان أمـثـلا
لتصنع على عيني كذا بيمينه ... ويبقى إذن وجه الإلـه مجلّلا[1]

- ظهرت دقة الضبط وتحديد المسائل والفصول في المنظومة. كما اتّسمت بالوضوح ويسر العبارة ودقتها، ولعل أهم دوافع ذلك كون الشيخ قاضيا يخاطب الناس وفق عقولهم، إضافة إلى تمرسه بالتدريس والحلقات العلمية.

تلك ملامح عابرة عن الشعر التعليميّ الدينيّ عند الشيخ وبالأخص عن منظومته "العقد الفريد في خالص التوحيد".

ثانيا: الشعر التعليميّ التاريخي

يعتبر الشعر التعليميّ التاريخيّ مصدراً من مصادر التاريخ -رغم ما يشوبه من مبالغات- ولعلّ بعض النظّام والشعراء بزّوا المؤرّخين في تدوين الأحداث وتوضيح الملابسات التاريخيّة. ولهذا الفن أهميّة خاصّة في التاريخ العماني، فقد دوّنتْ أحداث عمان الأولى في مقطوعات شعريّة متفرّقة تعود إلى زمن دخول الأزد عُمان.

وفي القرن الرابع عشر استمر ازدهار المنظومات التاريخيّة في هذا القرن، خاصّة مع حاجة المجالس إليها لتقوية الحماس الوطنيّ، واهتم معظم النظّام العمانيون بالتاريخ العماني، فنجد المنظومة (النزويّة) لبدر بن هلال البوسعيدي، وتقع في مئتين وسبعة أبيات، ونظم خلفان بن جميّل السيابيّ (كتاب السير) الذي ألحقه بكتابه الموسوعي (سلك الدرر) وسلك الدرر هو نظم لكتاب الثمينيّ (النيل)، كما نظم عبدالله بن علي الخليليّ منظومة (عمان في سجل الدهر)، كما نظم محمد بن شامس البطاشيّ (كتاب السير) وأيضاً ألحقه بكتابه (سلاسل

١) المصدر نفسه، ص٧٨.

الذهب)، ويقع في أكثر من أربعة آلاف وثلاث مئة بيت، كما نظم سيف بن محمد الفارسيّ (١٤٣٣هـ)[١] منظومة بعنوان (نبذة من تاريخ عمان) تقع في أكثر من أربع مئة وثلاثين بيتاً، وبدأها بمقدمة رائعة في الشكوى من الزمان حتى يتخلّص إلى ذكر الصالحين بعد أكثر من عشرين بيتاً، ونظم محمد بن خميس السيفيّ (ت١٣٣٣هـ)[٢] (اللامية في أئمة اليعاربة).

لكنّ النظم التاريخيّ للشيخ منصور بن ناصر الفارسيّ كان مختلفا، إذ اهتم بالسيرة النبوية فنجد له منظومة (غاية الاجتهاد في مديح خير العباد، مراتب سيرة الهدى والرشاد)، وتقع فيما يقارب من سبع مئة بيت، يقول في المرتبة السابعة بعنوان رضاعه ونشأته:

وأبـــوه قـد مـــاتَ وهـــو جنـينٌ وفي أصـح الـذي لـدينـا تنـاهـا
ثم قد صار شيبة الحمد كفيلاً جده حانياً، كفالةً ما وراهـا[٣]

فنجد النظم هنا أشبه بالسرد النثريّ لولا القافية.

ويمكن أن نجمل أهم خصائص النظم التاريخيّ والقصصيّ في القرن الرابع عشر في النقاط الآتية:

- وظّف السيرة النبوية، فاكتسب عمله مزيّة الشكل الأدبيّ، حيث استساغها الذوق، وطربت لها الأسماع، فوجدت حضورها في المجالس، ومن جانب آخر قدّمت ثقافة لغويّة ومعرفة تاريخيّة.

- نلاحظ أنّ النظم التاريخيّ عند الشيخ تميّز بالبعد الروحي والصوفي.

١) عالم فقيه قاصٍ، عاش في القرن الرابع عشر والخامس عشر، وعمّر طويلا وله مؤلفات جليلة. (الخصيبي، الشقائق ٣٧٧/٣).

٢) قاض ناظم، عاش في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر في نزوى، له مؤلفات أهمها العقد الثمين. (السّعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص٣١٢).

٣) الفارسي، سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد، ص٤٢.

مـذ تجـلّـى إلى الـوجـود يقينا ودنـا وقتـه أشـرقـت مغـربـاهـا
أخـجـلـت ذاتـه الشـمـس حسنا وضـيـاءً ومـن صـار ضـيـاهـا[١]

- نلاحظ العناية بالتقسيم، إذ قسّم النص على واحد وعشرين مرتبة وضعها موضع الفصول، والملفت بدأ بذكر دار هجرته ثم الوقوف على قبره. ثم يسترجع من تلك المناطق ذكريات السيرة وخطى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

- نلاحظ العناية بجمال المطلع، والصور الفنيّة واللغة المعبّرة عن الحدث التاريخيّ.

حـادي العـيـس لا تمـل سـراهـا فـلـديـهـا حـذاؤهـا وسـقـاهـا
واقـطـع الـبـيـد والـنـتـايـف عـمـدا واصـلا ليلها بـرأد ضـحـاهـا[٢]

ثالثا: الشعر التعليميّ التوجيهيّ

الشعر التعليميّ التوجيهيّ والسلوكيّ يحضران بشدّة، وتجمع بينهما خصائص مشتركة، حيث نجدهما يشتركان في التوجيه والترغيب في التزوّد للآخرة، ونجد حضور الإبداع والذاتيّة فيهما بشكل أكبر من غيرهما من أنواع الشعر التعليميّ، كما أنّ قيمتهما لا تتراجع، فالنصح والتوجيه لهما فاعليتهما في كلّ العصور.

كثيرٌ هو هذا النوع من الشعر التعليميّ، فقد ضمّن معظم نظّام الشعر التعليميّ منظوماتهم مواعظ ونصائح، مضى الشعر التوجيهيّ في ازدهاره، فهو خير مطيّة للنصح والموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلّ تلك الأمور من أهمّ واجبات العلماء والمسلم تجاه إخوانه المسلمين، كما أنّ الشعر التوجيهيّ مادة جيدة للمجالس العامّة، ولهذا ازدهر وتنوّع، ووجد اهتماماً من النظّام وخاصّة العلماء وممن برع في هذا المجال الشيخ المفتي إبراهيم بن سعيد العبريّ، والشيخ عبدالله

١) المصدر نفسه، ص٣٨.
٢) المصدر نفسه، ص٣٤.

بن سعيد بن خلفان الخليليّ (ت١٣٣٢هـ)[١] والشيخ حمد بن عبدالله السالميّ (ت١٣٨٥هـ)[٢]، والشيخ عبدالله بن سالم الخروصيّ (ت١٣٣٥هـ)[٣] والشيخ عبد الرحمن بن ناصر الرياميّ (ت١٣٧٤هـ)[٤] أمّا الشيخ خلفان بن جميّل السيابيّ فهو ممّن أبدع في هذا الجانب، فله منظومة (بهجة المجالس) التي تزيد عن ألفي بيت في الحكم والأمثال والتي يدلّ عنوانها أنّها نظمت من أجل المجالس.

أمّا الشيخ منصور الفارسي فقد أسهم في هذا المجال إسهاما ملفتا، فمعظم نصوص ديوانه "سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد" كانت وعظية بل خصص الباب السادس والسابع والثامن في الوعظ والنصح والإدّكار والحكم وآداب النفس.

ويمكن أن نجمل أهم خصائص النظم التوجيهيّ في القرن الرابع عشر في النقاط الآتية:

- الدّين في الغالب مصدر هذا التوجيه، فهو عالم ديني متمكّن، والقرآن والسنة أهمّ مصدرين.

- قيمة هذا الشعر وخاصة في الباب الثامن منه، أنّه خلاصة تجربة، وتفكير عميق، ورؤية صادقة.

احـق الـبـكـاء بـكـائـي لـنـفـسـي قـبـيـل حـلـولي رهـيـنـا بـرمـسـي
فـمـالي أبـكـي حـزيـنـا عـلـى فـراقي صديقا وفقدي لأنسي[٥]

١) أمير أديب وعالم شاعر، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر، وهو والد الإمام الخليليّ. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص٢٥٠-٢٥١).

٢) وال فقيه قاض أديب ناظم، عاش في القرن الرابع عشر الهجري، ابن نور الدين السالمي. (السعدي، معجم شعراء الإبّاضية، ج١، ص ٥٩).

٣) وال قاض فقيه أديب ناظم، عاش في القرن الرابع عشر، كان ورعا تقيا. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص٢٤٩-٢٥٠).

٤) أديب شاعر ناظم، عاش في القرن الرابع عشر الهجري، سافر إلى زنجبار، ثم عاد، ثم سافر إليها وتوفي بها. له ديوان غير منشور. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص ٢٣٦-٢٣٧).

٥) الفارسي، سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد، ص١١٦.

- غلبة أفعال الأمر والنهي التي تناسب غرض النصح والإرشاد المباشر. خاصة في مجال النصح في البابين الباب السابع والثامن، غير أننا نجد الشيخ في الباب السادس يتوجّه بنصحه لنفسه خاصة في باب المواعظ.[١٢٣٤]

احفظ لسانك من فضول المنطقِ وزنِ المقال على المقال الأليق
..إن اللسان من الفتى إن لم يكنْ قد صانه نطقا كسهم مطلقِ[١]

- من أساليب النصح غير المباشر استعمال الحكم. حيث نجد الإكثار من الأسلوب الخبري في نظم الحكم، كحجة ومنطق للوصول إلى ما يشبه البرهان. وكذلك استعمال أسلوب الشرط لذات الغرض.

ما كنت في دارهم دارهم لتسلم من أمرهم واختفِ[٢]

- نلاحظ أيضاً اقتراب هذا النمط التوجيهيّ من الشعر من حيث توظيف الصور البيانيّة. وأحيانا تبدأ المنظومة بمقدمة طللية.

أمن طلل بالبعد قد لاح جانبه ترأيت كالأخلال فاشتد واصبه
أأم رسم أطلال على عرصاتها وقفت وقد أضناك للرسم نادبه[٣]

- كثيراً ما يكون كل بيت وحدة مستقلة لذاتها، فالقصيدة أشبه ما تكون بأجزاء مرصوصة بعضها بجانب بعض، وقليلاً ما يعالج الناظم الفكرة في بيتين أو ثلاثة.

لا تحقرنّ فتى في الورى ولا تغمضنّ امرءا لو جفى
ودار الملوك وأبناءهم وأعوانهم بالتي تألفِ[٤]

١) المصدر نفسه، ص١٤٠.
٢) المصدر نفسه، ص١٤٤.
٣) المصدر نفسه، ص١٤٨.
٤) المصدر نفسه، ص١٤٤.

- سهولة اللغة والألفاظ ورشاقة الموسيقى؛ لأنّ هذا النوع من النظم يتوجه للعامّة أكثر من غيره من أغراض الشعر التعليميّ.

ذهب العمر وولى ورقيبي ما تولى
وعتيدا كان مني وقعيدا ما تخلّى[1]

رابعا: الشعر التعليميّ السلوكي

السلوك هو تهذيب الأخلاق، بتطهير النفس من الأخلاق الذميمة مثل حب الدنيا والجاه والحقد والحسد والكبر والبخل، وبالنهج على الأخلاق الحميدة مثل العلم والحلم والحياء والعدالة، أو هو باختصار محاربة هوى النفس وشهواتها، والاستقامة في طرق الحق بالمجاهدة والطاعة والإخلاص، فهو تربية روحيّة ذهنيّة تترجم في السلوك العمليّ. فإذا علمنا بعد ذلك أنّ التصوّف هو "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة"، أدركنا التشابه بين مدلول المصطلحين من حيث إنّ السلوك هو التطبيق العمليّ لجملة الأفكار التي آمن بها السالك وراح يطبّقها على نفسه.

ولم يدخل التصوّف إلى الفكر الإباضيّ إلا متأخراً، فظهرت بذور التصوّف في الأدب العمانيّ في القرن العاشر الهجريّ، وخفت الشعر السلوكيّ في القرن الرابع عشر الهجري، فقد قلب عليه ظهر المجن الإمام نور الدين السالميّ، الذي أسس المدرسة السالميّة التي أصبحت المؤثر الأكبر منذ القرن الرابع عشر الهجري إلى الآن في عُمان، ليس فقط لأنّها أقامت دولة الإمامة، بل أيضاً لأنّ جلّ الإنتاج العلميّ كان من مؤسس وطلاب هذه المدرسة. ورغم ذلك يمكن القول أنّ بعض آثار المدرسة السلوكيّة بقيت في القرن الرابع عشر، خصوصاً مع أعلام مثل: راشد بن سيف اللمكيّ، ومنصور بن ناصر الفارسيّ، وخلفان بن جميّل السيابيّ وعبدالله بن علي الخليليّ، فهم في رحلاتهم الروحيّة بطول أنفاسهم الشعريّة يذكّروننا بابن الفارض وابن عربي والغزالي.

---

١) المصدر نفسه، ص٩٩.

ونظم الشيخ منصور بن ناصر الفارسيّ قصيدة (المقامات في الابتهالات إلى الله) في أكثر من مئتي بيت، ومطلعها:

باسم الإله الجليل الأجلِّ باسم الإله العظيم المجلّي
باسم إلهي افتتاحي لما قد قصدت إليه ابتداء لقولي[١]

وقد قسّم قصيدته إلى ثلاثة عشر مقاما، مبتدئا بمقام الابتداء، ثم التوحيد ثم الحمد ثم الشكر ثم الاعتراف ثم السؤال ثم التوبة ثم الرجاء ثم التوسّل ثم الصلاة. ويمكن أن نجمل أهم خصائص الشعر السلوكيّ في القرن الرابع عشر الهجري في النقاط الآتية:

- الدعوة إلى إصلاح النفس الإنسانيّة.

أتوب إلى الله من كل ذنبٍ ومن كل خطئ ومن كل بطلِ
أتوب إلى الله من كل إصرٍ ومن كل وزرٍ ومن كل غولِ[٢]

- الدعوة إلى الاستعداد للمعاد، والزهد في الدنيا.

- الدعوة لتوجيه القلب بالكليّة إلى الله.

- استلهام المعجم الصوفيّ في ألفاظه وتراكيبه. كألفاظ الحب الإلهيّ والشوق وتحتوي تلك الألفاظ على الدلالات الرمزيّة التي انطوى عليها تكرار كل لفظ من تلك الألفاظ وما يخفيه الشاعر من معنى خفي يخالف المعنى الظاهر للفظ.

سألتك يا الله يا الله عفوا ولطفا خفيّا بسرّ الأجلِ
سألتك يا الله يا الله مدًّا مديدا وعونا يؤيد وصلي[٣]

- طول النفس الشعريّ، إذ تزيد أبيات القصيدة عن مائتي بيت.

١) المصدر نفسه، ص٨.
٢) المصدر نفسه، ص١٧.
٣) المصدر نفسه، ص١٥

- الاعتماد على المناجاة والدعاء.

يـــا رب إني مـقـــر بمـــا قـد بجنبك فـرّطـتُ مـن سـوء فعلي
أقـــر بـذنـبـي ومـــا كـــان منـي من الوزر عمدا ومن كلّ حضل[1]

- الاعتماد على الأسلوب التأمّليّ ومخاطبة النفس كما لاحظنا.

- الاعتناء بالتكرار، ويرجع ذلك التكرار الشائع كما يقول أحمد درويش إلى أنّ هذا أنسب إلى السماع والترديد والتغني منه إلى شعر القراءة الصامتة، كما أنّه يناسب الموقف حينما يقرأ وينشد في مجالس وسهرات الشعراء.

أتـــوب إلى الله مـن كـل ذنـبٍ ومـن كـل خـطـئ ومـن كـل بطلِ
أتـــوب إلى الله مـن كـل إصـرٍ ومـن كـل وزرٍ ومـن كـل غـولِ[2]

ويستمر هكذا ثلاثة عشر بيتاً مبتدياً كل بيت بقوله "أتوب إلى الله". وشعر الفارسي ليس به تلك الروح الصوفيّة التي تتضح في شعر السيابيّ واللمكيّ.

- الصور الشعريّة في الشعر السلوكيّ كثيرة؛ لأنّها وسيلة التعبير عن معانٍ لا يستطيع اللفظ العاديّ التعبير عنها، فتدرك بالذوق والخيال.

- سهولة الألفاظ وعدم التصنّع والتكلّف.

- الاعتناء برشاقة الموسيقى وخفتها.

- التأثّر بألفاظ القرآن والاقتباس من آياته.

١) المصدر نفسه، ص١٤

٢) المصدر نفسه، ص١٧.

الخاتمة:

وبعد هذا التجوال في حدائق الشعر التعليميّ عند الشيخ، نختم هذا البحث بعرض أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث:

- الشعر التعليميّ هو النظم الذي يشتمل على المضامين الأخلاقيّة، أو الدينيّة، أو الفلسفيّة، أو التاريخيّة أو التعليميّة عموماً، فهو ذو قالب شعريّ ومضمون علميّ، ليس شعراً خالصاً، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يجاري العلم في دقته وشموله.
- ازدهر الشعر التعليميّ في عمان فأصبح جزءاً من ثقافة المجتمع العمانيّ، وأصبح وسيلة التدوين الأولى في معظم المجالات، ووصل الأمر إلى أن تنظم الأسئلة إلى المختصّين في كل مجال، وكان الوسيلة المثلى إلى الترويج لأيّة فكرة.
- اهتم الشيخ الفارسي بالشعر التعليميّ تلبية لحاجات كثيرة أهمها: الحاجة التربوية والتعليميّة، والحاجة المذهبية، والحاجة الوطنيّة وحاجة المجالس له، وحاجة المدارس العلميّة المتخصّصة، والحاجة الدعويّة، والحاجة لحفظ العلوم والتراث، إضافة إلى طبيعة المجتمع وتشجيع الأئمة والسلاطين.
- اهتم الشيخ بالشعر التعليميّ الدينيّ ومن أهم إسهاماته منظومة "العقد الفريد في خالص التوحيد".
- من أهم نماذج الشعر التعليميّ التاريخي عند الشيخ منظومة "غاية الاجتهاد في مديح خير العباد".
- يعتبر الشعر التعليمي التوجيهيّ هو الغالب على نظم الشيخ، فهو خير مطيّة للنصح والموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنّه مادة جيدة للمجالس العامّة.
- كثيراً ما يكون كل بيت وحدة مستقلة لذاتها في الشعر التعليميّ التوجيهيّ،

فالقصيدة أشبه ما تكون بأجزاء مرصوصة بعضها بجانب بعض، وقليلاً ما يعالج الناظم الفكرة في بيتين أو ثلاثة.

- للشيخ مساهمات في الشعر التعليميّ السلوكيّ أهمها منظومة "المقامات في الابتهالات"، وهو يرمي إلى تهذيب الأخلاق، بتطهير النفس من الأخلاق الذميمة ومحاربة هوى النفس وشهواتها، فهو تربية روحيّة ذهنيّة تترجم في السلوك العمليّ. ويتميز باستلهام المعجم الصوفيّ في ألفاظه وتراكيبه. كألفاظ الحب الإلهيّ والشوق والسكر الروحيّ والكشف والظهور، والغيبة والحضور والفصل والوصل.

- نجد أنّ أكثر المنظومات عند الشيخ تخلّصت من المقدمات الطلليّة والغزليّة، فيبدأ النظم بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم، بل نجد أن أكثر منظومات الشيخ الفارسي تخلّصت من المقدمة تماما، بالولوج مباشرة الى موضوع المنظومة.

- نلاحظ استمرار غلبة السجع والصناعة اللفظيّة في وضع عناوين المنظومات عنده مثل "غاية الاجتهاد في مدح خير العباد" و"الدرة البهية في علم العربية" و"العقد الفريد في خالص التوحيد".

- اعتمد الشيخ على الحكم والأمثال لما لها من سيرورة وقدرة على الإقناع والحفظ، كما أنّ لها جانباً تربويّاً مهمّاً في توجيه السلوك والتعليم، ولها قدرة في تكثيف المعرفة، وقدرة على الأخذ بمجامع القلوب، فتضفي نوعاً من الجمال والخيال والتأثير العاطفيّ، أضف إلى ذلك أثرها في تأكيد الفكرة وتثبيتها، وأحياناً تعتبر شواهد وبراهين على كلام الناظم.

- نجد في الشعر التعليمي اللغوي والديني العقدي عند الشيخ الموضوعيّة والاستدلال المنطقيّ والعقليّ والإقناع من خلال المحاججة واستحضار الأدلّة النصيّة.

- تكثر الجمل الخبريّة في الشعر التعليميّ؛ لأنّ الغرض منه إيصال المعلومة، أمّا الإنشاء فأكثر ما يكون في مواضع الحماسة والتحريض والإثارة، فهو أكثر

إثارة للذهن؛ لأنّه أكثر حركة واندفاعاً ويتطلّب مشاركة المتلقّي وإثارة ذهنه، ولهذا تستفتح به القصائد. ويحضر بشكلٍ ملفتٍ في الشعر التعليميّ التوجيهيّ والسلوكيّ، لجذب الانتباه، ومشاركة المتلقّي في استخراج غرض النص عبر استعمال أفعال الأمر والنهي.

- الشعر التعليميّ العمانيّ عند الشيخ الفارسي يتسم بالوضوح الذي ينأى عن حواشي الألفاظ وغريبها. مبتعداً عن اللهجات المحليّة.

- المنظومات جاءت متفاوتة في التعبير والأسلوب وفق الموضوع الذي يطرحه الناظم، فالنظم الديني كان أبعد عن الجانب الفنيّ في الشعر من النظم السلوكيّ الذي يلتحم بالمجاز والخيال؛ لأنّ طبيعة المعرفة التي يقدمها في السلوك تعتمد على الذوق والخيال.

- الصور الشعريّة في الشعر السلوكيّ كثيرة؛ لأنّها وسيلة التعبير عن معانٍ لا يستطيع اللفظ العاديّ التعبير عنها، فتدرك بالذوق والخيال.

- زخر الشعر التعليميّ السلوكي بألفاظ صوفيّة استمدت دلالات رمزيّة كثيرة تخرج من معناها اللغويّ الأصليّ الى معنى نفسيّ يعبّر عن دلالات نفسيّة وانفعالات وجدانيّة قويّة.

- نلاحظ في الشعر التعليمي السلوكي والتوجيهي عند الشيخ الاعتناء بالتكرار، فهو أنسب إلى السماع والترديد والتغنّي منه إلى شعر القراءة الصامتة، ويتبدّى هذا المظهر جلياً حينما يقرأ وينشد في المجالس العامّة والخاصّة، على نحو ما تفرضه الطبيعة القبليّة للمجتمع. إضافة إلى أنّ القراءة المسموعة باللفظ المكرر تحتفظ نغماتها الثابتة بمرجّع موسيقيّ يساعد الذاكرة على ثبات حفظها له. وأكثر من عُني بالتكرار الشعراء السلوكيّون.

ثانياً: التوصيات:

- توجيه الباحثين التربويين إلى ضرورة العناية بالشعر التعليميّ من الناحية التربويّة، مستفيدين من الدراسات الأدبيّة حوله.
- ضرورة الاستفادة من خصائص الشعر التعليميّ في مناهجنا المعاصرة، وصولاً إلى التكامل بين الحفظ والفهم.
- تحقيق ديوان الشيخ وإعادة طباعته بعد نفاد طبعته السابقة منذ وقت ليس قصيرا، وتحقيق المنظومات عند الشيخ وإخراجها في ثوب لائق.

قائمة المصادر والمراجع:

- الحجريّ، هلال: **حداثة الأسلاف: إضاءات من الشعر العمانيّ القديم**، ط١، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٣م.
- الخصيبيّ، محمد بن راشد: **شقائق النعمان على سموط الجمان**، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط،، ٢٠١٦، ج٣.
- درويش، أحمد: **تطور الأدب في عمان**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- الذخريّ، بدر بن مبارك: **النظم وأثره في الفقه الإباضيّ: جوهر النظام أنموذجاً**، بحث تخرّج في العلوم الشرعيّة، نوقشت وأجيزت في معهد العلوم الشرعيّة، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٠م.
- االسالميّ، نور الدين عبدالله بن حميد: **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، د.ط، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٩٧م، ج٢.
- الشكيليّ، إبراهيم بن جمعة: **المجالس الأدبية والمباحث اللغوية في عمان**، ضمن ندوة (الدور العماني في خدمة اللغة العربية)، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، ٢٠١٥.

- الشيبانيّ، سلطان بن مبارك: **مفتاح الباحث إلى ذخائر التراث الفكريّ العمانيّ**، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٥م.
- الصارميّ، محمد بن مسعود: **منظومة الصارميّ**، تحقيق محبوب بن محمد الرحيلي، ط١، ذاكرة عمان، مسقط.
- الفارسيّ، منصور بن ناصر: **الدرة البهيّة في علم العربيّة**، تحقيق عادل محمد علي الطنطاوي، ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ٢٠٠٨م.
- الفارسيّ، منصور بن ناصر: **سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد**، ط١، مكتبة الضامري، مسقط،١٩٩٢.

ملحق: الشعر التعليميّ اللغويّ عند الشيخ الفارسي

الاهتمام باللغة العربيّة بمختلف فنونها كان واحداً من الاهتمامات التأليفيّة التي عني بها العلماء والمؤلّفون العمانيون، وتبلغ المؤلّفات العمانيّة في هذا المجال ما يقارب السبعين مؤلّفاً معروفاً على الأقل، مختلفة الشكل بين تأليف وشرح واختصار ونظم ونثر، ومتنوّعة في المستوى اللغويّ بين الدلالة والصرف والنحو البلاغة والعروض. وقد استثمر العمانيون - شأنهم في ذلك شأن كثير من علماء العالم الإسلاميّ- فكرة الشعر التعليميّ، بوضع منظومات خليليّة الأوزان في علوم اللغة العربيّة، وهو استثمار يبقى أمارة جهد بُذلَ، وعناء أنفق، وهمة اتقدت.[1]

ويمكن أن نشير هنا إلى ملاحظة مبدئيّة مهمّة، وهي أن نسبة المنظوم في اللغة العربيّة -في القطر العمانيّ- قليلة جداً بالمقارنة بالمنظوم في العلوم الدينيّة. ولعلّ من أهم أسباب ذلك انشغال العمانيين بتوطيد هويتهم العقديّة الإباضيّة والدفاع عن الاستقلال الوطنيّ، بينما رأوا أنّه يمكن الاستفادة من المنجز اللغويّ العربيّ دون وجود مخاوف من ذلك، كما أنّ طبيعة علوم العربيّة من نحو وصرف وعروض جامدة وغير مسلّية في المجالس، والمجالس في عُمان من أهم أسباب انتشار المنظومات، لكنّ العلماء استعاضوا عن ذلك بكثرة الأسئلة والأجوبة النحويّة التي سدّتْ شيئا كبيراً من النقص في هذا الجانب، إذ هي قابلة للقراءة في المجالس. ولكنّ النظرة المتأنّية في نشاط الحركة الفكريّة خلال القرن الرابع عشر الهجري تكشف ما حفلت به عمان من نشاط فكريّ غزير، وازدهار علميّ كبير، تمثّل في حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون، ومن تلك العلوم علوم اللغة العربيّة، ويعنينا هنا المنظوم منها. فقد نظم حبيب بن يوسف الفارسيّ (ت١٣٢٩هـ) أرجوزة (سُلّم الإعراب) في مئة وواحد وعشرين بيتاً، ونظم نور الدين السالميّ أرجوزة (بلوغ الأمل في تفصيل الجمل) وأرجوزة (فاتح العروض والقوافي)، ونظم سالم بن سيف الأغبريّ (المنظومة النحويّة العمانيّة)، ونظم عبدالله بن

١) الصارمي، محمد بن مسعود: منظومة الصارمي، تحقيق محبوب بن محمد الرحيلي، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، ص ص ١٦-١٧.

ماجد بن خميس العبريّ (ت١٣٣٥هـ)[١] أرجوزتين الأولى (تحفة الأحباب في علم الإعراب)، و(لاميّة الإعراب في فنون من النحو) ونظم محمد بن حمد بن سالم الزامليّ (ت ١٣٩٠هـ)[٢] (المنظومة اللاميّة في النحو)، وتقع فيما يقرب من مئتين واثنين وثمانين بيتاً، ولكنه لم يتمكن من إكمالها، فأكملها بعد وفاته سعيد بن خلف الخروصي، وشرحها سيف بن محمد الفارسي في كتاب (البركة في شرح القصيدة النحويّة المشتركة).

وأما الشيخ منصور بن ناصر الفارسيّ فقد نظم (الدرة البهيّة في علم العربيّة) في مئتين وثمانية وأربعين بيتاً. مطلعها:[٣]

الحمد لله الذي قد قرّبا إليه من لنحوه تقرّبا[٣]

يقول في باب "حد الكلام وأقسامه":[٤]

حدُّ الكلام عندنا المفيدُ كقام زيدٌ وأتى سعيدُ
وهو على ثلاثة قد قسّما اسم وفعلٍ ثم حرفٍ وسما
فميزِ الاسمَ بجرٍ وندا وألْ وتنوينٍ وإسنادٍ بدأ[٤]

ولم ندرجها ضمن البحث؛ لأننا التزمنا بديوان "سموط الفرائد على نحور الحسان الخرائد" ومنظومة "الدرة البهيّة" خرجت مستقلة في كتاب من شرح الشيخ، فقد شرح الشيخ منظومته كعادة معظّم النظّام العمانيين في علم النحو، ليتوسّع فيها، فيكون النظم للمبتدئ والشرح للمتخصص.

ويمكن أن نجمل أهم خصائص هذه المنظومة في النقاط الآتية:

- استشهد الشيخ بكل أنواع الشواهد المعروفة من القرآن والحديث وكلام العرب

١) أديب كاتب نحوي فقيه شاعر، عاش في آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر في ولاية الحمراء. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١،ص٢٦٤).

٢) قاضٍ فقيه ناظم، عاش في القرن الرابع عشر، ولد بالسويق مكفوف البصر. (السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج١، ص ص٣١٠-٣١١).

٣) الفارسي، منصور بن ناصر: الدرة البهية في علم العربية، تحقيق عادل محمد علي الطنطاوي، ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٤.

٤) المصدر نفسه، ص ص ٦٧-٦٨.

شعرا ونثرا.

- اهتم الشيخ في شرحه بالحدود والتعريفات النحوية، وإن جاء بعضها مخالفا لما هو مشهور عند النحاة.

- اهتم الشيخ بذكر قضايا الخلاف النحوي في شرحه. وكان اتجاهه كعادة العمانيين بصريا في الأغلب.

- اهتم الشيخ بذكر اللغات الواردة في الكلمات التي يتحدث عنها. كما اهتم بالتعليل النحوي حيث يذكر السبب ويبين العلل.

- اهتم الشيخ بذكر الفوائد والتنبيهات أثناء شرحه.

- كان للشيخ شخصيته ووجوده ورأيه فلم يسرد المسائل سردا دون أن يبدي رأيه.

- ظهر جلياً تأثير الرموز العمانيّة القديمة في المجال اللغويّ على النظم اللغويّ العمانيّ قبل القرن الرابع عشر، وتميل المنظومات اللغويّة في القرن الرابع عشر إلى التأثّر بالمنظومات والكتب العربيّة اللغويّة المرجعيّة مثل مؤلّفات ابن مالك والحريريّ والزمخشريّ...وظهر جليا هنا تأثر الشيخ بألفية ابن مالك.

- لم تهتم هذه المنظومة بالمقدمة، بل اعتمدت أسلوب المباشرة في الموضوع والخطاب.

- في شرح الشيخ تجلّت مقدرته على الفنون العربية من نحو وصرف وبلاغة.